ابرهه لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا
عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال
اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهه احضر فيله
الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذى
فى ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهه بالمغمس هيأ فيله وجنوده لدخول
مكة برك الفيل فى محل بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك
لما وصلوا الى وادى محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيى فيه فضربوه
فى راسه ومراق بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام
فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال
الخطاطيف من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه
كامثال العدس لا يصيب احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق
واصيب ابرهه فى جسده بداء فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو مثل
فرخ الطاير وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه وقد ذكر الله
هذه القصة فى سورة الفيل وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته
اشارة الى ان المراد من الروية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان العلم بذلك
ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالروية البصرية وقد دلت هذه القضية على
غاية شرف نبينا فانها كانت ارهاصا وتاسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على
زمن النبوة تاسيسا كما مر فى تظليل الغمام والشجر والمكين بل جاء ان الشجرة والحجارة
قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشى الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه
وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهه
لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله ضره تم عليه دل ذلك على عظيم
اعتناء الله بهم ولتقدم معنى الارهاص بحمى النبوه وثبوتها بالدلايل القطعية
املى للحجاج فتجد الله حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشى ولما ذكر ما يتعلق با

الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال **والجماد** وهى ما لا روح فيه
افصحت اى اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل بان خلقه
الله فيها حينئذ من غير حيوة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بان خلق الله
فيها حيوة ولسانا وادراكا فنطقت مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا
ما يأتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان الله تع خلق فيه الحياة
والعقل والشوق حتى حن وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى انه خلق الصوت
فى محل لا يستلزم خلق الحيوة والعقل فيه لانا لم ناخذ الحيوة من خصوصيته بل من
اطلاق الصحابة عليه انه حن وان مذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام
النفسى يستلزمان الحيوة استلزام العلم لها ولهذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى
فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله **با**لشهاده بالانباء والارسال **الذى اخرس عنه لاحمد**
متعلق بافصحت **الفصحا** نايب فاعل اخرس وفيها الطباق اى ان العرب قريشا
وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له
صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهد له بذلك الجمادات
الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد ابى بكر ثم فى يد
عمر رضى الله عنهما يسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن
فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه كنا ناكل مع النبى صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا
انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الان قيل هو الحجر
الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان يمر به صلى الله عليه وسلم من داره
خروجه الى المسجد وعلى اهل مكة سفلها وعلوها وصح عن على كرم الله وجهه
كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا لبعض نواحى مكة فما استقبلنا
شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم لما
استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1